مخطوط "سكب الأدب في شرح لامية العرب" وأهميته في استقراء تاريخ العراق خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي(*)

د. علي بن حسين البسَّام
قسم الدراسات الاجتماعية - كلية الآداب - جامعة الملك فيصل بالأحساء

أغفل كثير من الباحثين في مجال الدراسات التاريخية بعضًا من المصادر اللغوية والأدبية في دراساتهم، حين ظنوا عدم إمكانية استخراج معلومات تاريخية من مكنوناتها، يمكن أن تؤكد حقيقة تاريخية وتدعمها أو قد تنفيها نفيًا قاطعًا، ولعل ذلك التجاهل مرده إلى اعتبار أنها مصادر ثانوية لا يُلتفتُ إليها كثيرًا، وهذه النظرة يجانبها الصواب؛ من هنا فإن المصادر اللغوية والأدبية - ومنها المعلومات التاريخية المفيدة - قد تميط اللثام عن بعض الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية المجهولة.

ومن ذلك ما استوقفني من المخطوط الموسوم بـ"سكب الأدب في شرح لامية العرب" لشارحه الشيخ سليمان بك بن

(*) أشكر أستاذي الدكتور عبداللطيف الناصر الحميدان، الذي تكرم وزودني بنسخة من مخطوطة "سكب الأدب في شرح لامية العرب"، إذ كان له أثره الكبير في خروج هذا البحث إلى النور.

عبدالله آل شاوي، فمنذ الوهلة الأولى يبدو لنا أن المخطوط المذكور هو أحد الشروح الخاصة بقصيدة "لامية العرب" للشنفرى(١)، التي نالت اهتمام الكثير من العلماء المحققين قديمًا وحديثًا، فدرسوها وحققوها وزادت شروحها على أكثر من عشرين شرحًا بدءًا من نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حتى العصر الحديث. ولعل من أبرز الشروح التي تناولت اللامية: شرح محمد بن يزيد المبرد على لامية العرب، وشرح يحيى بن علي التبريزي، وجار الله الزمخشري صاحب "أعجب العجب في شرح لامية العرب"، وعبدالله بن الحسين العكبري في "إعراب لامية العرب"، ويحيى بن أبي طي الحلبي صاحب "المنتخب في شرح لامية العرب"، وشرح جاد الله الفيومي على لامية العرب، وشرح محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي المسمى"تفريج الكرب عن قلوب أهل الأرب في معرفة لامية العرب"، وشرح عبدالله بن الحسين السويدي البغدادي المسمى "رشف الضرب من شرح لامية

---

(١) الشنفرى: شاعر جاهلي من الأزد من بني الأواس بن الحجر بن الهنء، وهو ابن أخت الشاعر تأبط شرًا ثابت بن جابر الفهمي، وقد اختلف في نسبه واسمه، وقد أسرته صغيرًا بنو شبابة بن فهم وظل فيهم حتى أسر بنو سلامان بن مفرج رجلا من بني شبابة ففدوا به الشنفرى، فكانت حياته مع بني سلامان ولا يحسب نفسه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره، فاكتشف حقيقة أمره وأحس بالمهانة في مقامه بين بني سلامان، فسلك طريق الصعلكة انتقامًا منهم. وقد عد ثالث ثلاثة من عدائي العرب. انظر: محمود حسن أبو ناجي، شعراء العرب الفرسان في الجاهلية وصدر الإسلام، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٨٤م، ص١٧٧-١٧٨. وعبدالحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١١٢.

العرب"، وشرح عطا الله بن أحمد الأزهري المسمى "نهاية الأرب في شرح لامية العرب"، وغيرها. ولما وقعت مخطوطة "سكب الأدب في شرح لامية العرب" تحت يدي وقرأتها قراءة متأنية وجدتها تزخر بالمعلومات التاريخية التي لها أهمية كبرى عن بداية حكم المماليك "الكوله مند" في العراق من النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، حيث ضمّنها شارحها بعض الأحداث التاريخية التي عاصرها بنفسه وشارك في صنع بعضها، إضافة إلى بيان لمواقفه السياسية من بعض تلك الأحداث التي شهدتها تلك الفترة. إن مثل تلك المواقف جعلت للمخطوطة طابعًا سياسيًا له أهميته البالغة من تاريخ العراق في العهد العثماني.

ومما يجدر بالإشارة إليه أن "عباس العزاوي" أشار بصورة عرضية إلى أهمية المخطوطة واحتوائها على بعض من أحوال الوزراء المماليك وبيان للحالة التي كانت عليها بغداد عهدئذ(٢)، دون أن يزودنا بتفاصيل عن تلك الأحوال والأوضاع التي تحدثت عنها المخطوطة، ومن هنا آثرت أن أقوم بدراسة وقراءة لمخطوطة "سكب الأدب في شرح لامية العرب"، واستقرائها بإمعان للتعرف - عن كثب - إلى جوانبها التاريخية الكامنة في ثناياها، ولعلي بذلك أضيف للقراء شيئًا جديدًا عن تاريخ العراق الحديث في فترة حكم الوزراء المماليك خلال العهد العثماني، ولتحقيق هذا الهدف سوف أقوم بالخطوات الآتية:

---

(٢) عباس العزاوي، تاريخ الأدب العربي في العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٢م، ج٢، ص٤٢.

التعريف بشارح القصيدة:

شارح لامية العرب هو الأمير العالم سليمان بن عبدالله بن نصيف بن شاوي الشاهري العُبيدي والمولود على الأرجح في العقد الرابع من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وقد نشأ وترعرع في كنف والده الأمير عبدالله بك آل شاوي(٣) "باب العرب"(٤) في بغداد، ودرس على العديد من

---

(٣) عبدالله بك آل شاوي: ولد تقريبًا في سنة (١١٢٥هـ/ ١٧١٣م) ووصفه المؤرخ محمد صالح السهروردي في كتابه بأنه "كان بعيد النظر ذكيًا، غيورًا، عربيًا قحًا، شجاعًا، صنديدًا، دينًا، زاهدًا، وأنه أحنف وقته، وكانت له الرئاسة الكبرى والصولة العظمى على عشائر العراق، وقد منحه ولاة بغداد لقب (أمير) بصفة رسمية، ثم ولاه سليمان باشا أبو ليلة منصب (باب العرب)". وقد اغتيل سنة (١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م). انظر: لب الألباب، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٣٣م، ج٢، ص١٧٧. ومحمد سعيد بن عبدالغني الراوي، تاريخ الأسر العلمية في بغداد، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧م، ص٣٤٧.

(٤) باب العرب: هو منصب إداري في باشوية بغداد، كان يتقلده شخصية من الشخصيات العشائرية العربية البارزة لمتابعة شؤون القبائل والعشائر؛ ليكون همزة الوصل في علاقتها بالسلطات الحكومية، فهو المسؤول المفوض من قبل الوالي، الذي يراجعه أغلب زعماء القبائل والعشائر في العراق، لقضاء حوائجهم، وأحد الأعضاء المهمين في مجلس الولاية (الديوان) الذين يستشيرهم الوالي، ومما يشار إليه هنا أن وظيفة باب العرب لم تقتصر على أن يكون حاملها حلقة وصل بين الحكومة والعشائر فقط، بل تعدى ذلك إلى القيام بدور الدبلوماسي والقائد العسكري في ديوان الولاية، وتعددت واجباته في عهد المماليك؛ انظر: علي حسين البسام، دور عشيرة العُبيد في حكم العراق المملوكي ١١٦٢-١٢٤٧هـ/ ١٧٤٩-١٨٣١م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى - كلية الشريعة - قسم الدراسات التاريخية والحضارية، ١٤٢٧هـ، ص١٢٧-١٢٩.

علماء عصره من أمثال الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله السويدي، فقد درس عليه علوم اللغة العربية والأدب والفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، وقد قال عنه السهروردي: "كان عالمًا فاضلاً أديبًا شاعرًا كريمًا شجاعًا، وكان مجلسه مجلس علم وأدب ومناظرة"(٥). وقال عنه العزاوي: "من العلماء المعروفين والأدباء المشهورين ذاع صيته في الأدب كما ذاع صيته بالحروب والسياسة وكان (باب العرب) لم يرتزق بشعره ولا تاجر بعلمه، ويهمنا أن نقول إنه لغوي لا يقل عن علماء اللغة الآخرين حتى عُد من العلماء المبرزين والمؤلفين؛ فله تصانيف أدبية ونحوية عديدة"(٦).

مشاركته في الحياة السياسية:

لقد تعدت مكانة الأمير سليمان بك آل شاوي حدود الناحية العلمية إلى مجالات عديدة؛ سياسية، وعسكرية، واجتماعية، وثقافية، وأدبية، والمتتبع لسيرته يجد فيه شخصية متعددة المواهب والصفات، فنجده عالمًا وفقيهًا ونحويًا وأديبًا وشاعرًا وزعيمًا عشائريًا بارزًا، وسياسيًا مرموقًا، له مكانة رفيعة؛ حيث شارك وأثر بصورة كبيرة في الأحداث السياسية للولاية بعد توليه منصب "باب العرب" في دار الولاية ببغداد منذ سنة (١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م) حتى سنة (١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م) تقريبًا، خلال فترة حكم المماليك في العراق، التي دامت أكثر من ثمانين سنة (١١٦٢هـ/ ١٧٥٠م -

---

(٥) السهروردي، لب الألباب، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٨.

(٦) العزاوي، تاريخ الأدب العربي في العراق، المرجع السابق، ص٤١.

١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م)، تناوب على كرسي الولاية منهم تسعة ولاة، وتفاوتوا في القوة والضعف، وكان أشهرهم الوالي سليمان باشا أبو ليلة (١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م - ١١٧٦هـ/ ١٧٦٣م)، والوالي عمر باشا (١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م - ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م)، والوالي سليمان باشا الكبير (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م - ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م)، والوالي علي باشا أبو غدارة (١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م - ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م)، والوالي داود باشا (١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م - ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م)، فكان سليمان بك آل شاوي من أبرز الشخصيات السياسية والاجتماعية في عهود أربعة منهم. وقد عرف آل شاوي بالشجاعة، والكرم، ودماثة الطبع، وسعة الاطلاع، وسداد الرأي، وكانت له كلمة نافذة بين عشيرته وله سمعة شعبية بين العشائر العربية حول ولاية بغداد بصفته أحد شيوخ عشيرة العُبيد(٧). كما نال في عهد الوزير سليمان باشا الكبير مكانة وحظوة كبيرة أثارت حسد منافسيه، ومنهم الوالي سليمان باشا الكبير والمماليك، وهابوه لمكانته بين العشائر العراقية خشية من بسط نفوذه على ولاية العراق(٨).

---

(٧) أحمد علي الصوفي، المماليك في العراق صحائف خطيرة من تاريخ العراق الحديث، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥٢م، ص٨٦. وجعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، بيروت، ١٩٧١م، ج١، ص٢٠٩. ومحمد فرج محمد، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لدولة المماليك في العراق ١٧٤٩-١٨٣١م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٨م، ص١٠٣.

(٨) عثمان بن سند البصري، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف وسهيلة عبدالمجيد القيسي، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١م، ص٨٦. وعبدالعزيز =

وقد بلغ من تأثيره السياسي القوي أنه أعلن الثورة أكثر من مرة ضد الولاة المماليك، بل جرد عليهم في بعض الأحيان الجيوش، وقد أسهم بدور واضح في ترجيح كفة بعض الولاة في أثناء ترشحهم لمنصب الوزارة في ولاية بغداد والبصرة، إضافة إلى عزل بعضهم الآخر(٩). كما أصبحت داره الواقعة في الجانب الغربي من بغداد ملجأ لبعض الولاة المخلوعين، أمثال: مصطفى باشا (١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م - ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م)، وعبدي باشا (١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م)، وكذلك بعض الذين اختلف معهم سليمان بك مثل: عجم محمد(١٠) وغيره(١١). هذا بالإضافة إلى كونها موئلاً للعلماء، وطلاب العلم، والمثقفين، والشعراء، والأدباء، حيث ارتبط بعلاقات

= سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية عهد داود باشا حتى حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٤٦٧.

(٩) سعيد بن عبدالله بن حسين السويدي، ورود حديقة الوزراء بورود حديقة وزارة مواليهم في الزوراء، مخطوط نسخة دبلن برقم (Dublin., Ms., No. 3551-pt. 3) ورقة٣٣/ ب.

(١٠) عجم محمد أو محمد العَجَمَي: هو رجل أعجمي (فارسي) الأصل قدم شابًا يافعًا مع والدته وأختيه إلى بغداد في عهد الوالي سليمان باشا (أبو ليلة)، للتكسب والرزق وساعدته الأوضاع التي مرت بها الولاية للوصول إلى ديوان الولاية حتى ترقى ووصل إلى رتبة كُتخُدا، ثم طمع بكرسي الولاية، ولكن لم يتحقق مراده. انظر: عبدالرحمن بن عبدالله السويدي، تأريخ حوادث بغداد والبصرة، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف، ط٢، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م، ص٦٤-٧٢.

(١١) سعيد السويدي، ورود حديقة الوزراء، المصدر السابق، ورقة٣٠/ ب، ٣١/ أ.

أدبية وثيقة مع مثقفي عصره(١٢). وقد اغتيل الأمير والعالم اللغوي سليمان بك آل شاوي في سنة (١٢٠٩هـ/ ١٧٩٥م)(١٣).

التعريف بالمخطوطة:

النسخة التي بين أيدينا هي نسخة المكتبة الوطنية في فيينا بالنمسا، وعليها ختم المكتبة الدائري الشكل وبداخله العبارة الآتية: "OST NATIUNAL BIBLIOHLK WIEN"، وتتألف من قسم واحد غير منفصل، ومدون في أعلى غلافها من جهة اليمين عبارة: "ملك الفقير إلى الله الداغستاني"(١٤)، وكتب عليها تاريخ (١٢٤٠هـ)، وهي النسخة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، وهناك العديد من النسخ المخطوطة الأخرى، التي لم تسنح لنا فرصة الاطلاع عليها، ولكن تم ذكرها هنا للفائدة مثل:

---

(١٢) حسين بن علي العُشاري، ديوان العُشاري تحقيق عماد عبدالسلام رووف وعبدالكريم الأعظمي، مطبعة الأمة، بغداد، ١٣٩٧هـ، ص٢٠٨. ومحمود شكري الألوسي، المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق: عبدالله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٢١٩.

(١٣) البصري، مطالع السعود، المصدر السابق، ص١٩٧. وعلي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ بغداد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٦م، ص٢١٣.

(١٤) لعل المقصود به هو: محمد فاضل باشا الداغستاني، وهو أحد المجاهدين الكبار الذين حاربوا الروس في داغستان، ثم إنه لجأ إلى إسطنبول في عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، فقربه السلطان عبدالحميد الثاني منه، ثم أرسله إلى العراق في مهمة عسكرية لمحاربة الإنجليز، وتولى وكالة والي بغداد أكثر من مرة، وقد استشهد في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، خلال مواجهته للإنجليز في الكوت. انظر: الألوسي، المسك الأذفر، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٣٨-٦٤٣.

١ - نسخة المجمع العلمي العراقي، وهي عبارة عن قسمين الأول والثاني، مصنفة تحت موضوع (دواوين الشعر وشروحها) وتسلسل رقمي: (القسم الأول ٩٩/ شعر، والثاني ١٠٠/ شعر)، وقد كتب على القسم الأول منها: "انتقل هذا الكتاب بالشراء الشرعي من كتب المرحوم الملا معروف بن الحاج محمد القطان إلى ملك أفقر الورى إلى عفو ربه الجليل عبدالله بن عيسى بن إسماعيل العبا... وذلك في ٢٥ محرم الحرام ١٢٢٢هـ"(١٥). وأما القسم الثاني، فقد كتب عليه ما يلي: "وبلغ كتابه بحمد الله ومعونته ضحى يوم الجمعة المبارك يوم العشرين من ربيع الأول أحد من شهور سنة التصنيف على نسخة المصنّف الشارح. والحمد لله أولاً وآخرًا ظاهرًا وباطنًا إلى يوم الدين. بقلم الفقير حسين بن عبدالكريم. غفر الله ذنوبهما"(١٦).

٢ - نسخة خطية أشار إليها عباس العزاوي بأنها موجودة في خزانة الأوقاف العامة برقم (١٩٥٥) من كتب الخزانة الخالدية، وأنها بقلم حسين بن عبدالكريم، وصحائفها ٣٤٠ صفحة، وقد قرضها العالم والأديب حسين العُشاري الشافعي، والعالم أبو المحامد شهاب الدين أحمد بن عبدالله السويدي، والعالم أبو البركات الأبي محمد الرضي المدرس. إضافة إلى نسخة أخرى شاهدها

---

(١٥) ميخائيل عواد، مخطوطات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨١م، ج٢، ص٣٧٤-٣٧٦.

(١٦) المرجع نفسه، ج٢، ص٣٧٦-٣٧٧.

العزاوي وقد كتبت في سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٧م، وقرض عليها مجموعة من العلماء(١٧).

٣ - نسخة خطية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، (الرقم الجديد ٤٧٣٤، والرقم القديم ٤٠٥)، وهي من وقف إبراهيم فصيح الحيدري، على التكية الخالدية ببغداد(١٨).

والمخطوطة التي بصدد دراستها، أطلقت عليها تجاوزًا "نسخة فيينا"، قد كتبت بخط نسخ جميل ومقروء بشكل واضح، وتقع في نحو ١٧١ لوحة، وهي متوسطة الحجم، يُراوح عدد السطور في الصفحة الواحدة منها بين (١٨) و(١٩) سطرًا، وعدد الكلمات في السطر الواحد يُراوح بين (١٠) و(١٣) كلمة. وبوجه عام فإن المخطوطة لم تشتمل على عناوين جانبية، بل كُتبت أبيات القصيدة المراد شرحها بلون مخالف للون الحبر الأساس، والأمر نفسه بالنسبة لعناوين الفقرات التي كانت تلي بيت الشعر مباشرة، والتي جاءت متسلسلة في معظم المخطوطة؛ حيث بدأ المؤلف باللغة وشرح بيت الشعر لغة، ثم بالإعراب، وبعد ذلك يفسر معنى البيت بلاغة، وقد أسهب المؤلف بصورة مشوقة في ذكر الشواهد المختلفة لتوصيل وجهة نظره في الشرح، ثم كان يلحق ذاك بتتمة أو تكملة، إضافة إلى تنبيه أو فائدة ولطيفة. ولقد

---

(١٧) عباس العزاوي، "بيت آل شاوي"، مجلة لغة العرب، السنة ٩، بغداد، ١٩٣٠م، ج٢، ص١٠٨-١٠٩.

(١٨) ميخائيل عواد، مخطوطات المجمع العلمي العراقي، المرجع السابق، ج٢، ص٣٧٧.

امتازت لغة المؤلف بالقوة والجزالة، وعمق الفهم، والشمول في مختلف الجوانب اللغوية والبلاغية والأدبية والشرعية والتاريخية. وبدأها المؤلف والشارح بالبسملة، ثم قال: "الحمد لله الذي أدّب من اختاره بآدابه، ووفق للحسنى من أراد سعادته في عادته ودأبه، وشرح صدر من انقاد لأوامره بموسى الحكمة، وميّز من تخلق بطاعته بالإجلال من بين أفذاذ الأمة، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد في ذاته، المنزّه عن الشبيه والنظير في أسمائه وصفاته، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، المنزل عليه قرآن في أعلى درجات الفصاحة، المعجز من تحدى بآية منه لذوي البلاغة والرجاحة، المبين لنا من الشريعة رمزًا وسرًا، القائل إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرًا، أفصح من نطق بالضاد، وأصدق من تكلم لإرشاد العباد، صلى الله عليه وسلم، ومن شرّف وكرّم، ما لهجت العرب بكذا وكيت، وما فاهت بقصيدة أو بيت، وعلى آله وأصحابه الذين فازوا من الفصاحة بالقدح المعلى، وحازوا ما هو الأحرى والأولى..."(١٩)، واستمرت المقدمة حتى بلغت ثلاث صفحات، ثم شرع المؤلف في شرح اللامية. وبيّن المؤلف كذلك الأسباب التي دعته لشرح لامية العرب بقوله: "لما كانت القصيدة الموسومة بلامية العرب للشنفرى خالد بن ثابت الأزدي من غُرر القصائد على الإطلاق... وقد كانت محتاجة إلى شرح يبين مغازيها، ويوضح معانيها، ويبين رموز فوائدها، ويكشف عن وجوه خرائدها، ويرفع عنها حجب الدقة والإغلاق، ...

---

(١٩) المخطوطة، لوح رقم ٢/ أ - ب.

حتى اجتمعت ذات يوم... مع شيخي الكبير الشهير، العالم العلامة النحرير، شيخ العراق بالاتفاق وملجأ أهل الخلاف والوفاق، الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالله الشهير بالسويدي، ... أمرني بشرحها وأمره واجب الامتثال..."(٢٠). وختمت بقول محررها: "وقد كان إتمام هذا الشرح في اليوم التاسع والعشرين من شهر ربيع الثاني بعد الظهر سنة الثامنة السبعين بعد المائة والألف، قد وقع الفراغ من كتابة هذا الشرح اللطيف في سنة ألف ومائة وست وتسعين"(٢١). ويبدو من النص السابق أن الشارح سليمان آل شاوي قد انتهى من شرحه في سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، وفرغ محرر الشرح من كتابته سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م. ووجدت في بعض صفحات المخطوطة تصويبات وتعديلات بيد محررها، فلعل مالكها أو محررها قابلها على نسخ أخرى وأضاف إليها تلك التعديلات. كما وجدت على هذه النسخة تقاريض لمجموعة من العلماء، من مختلف أصقاع الدولة العثمانية، مما يعني أن مخطوطة "سكب الأدب في شرح لامية العرب"، شرح سليمان بك آل شاوي، قد سارت بها الركبان، وأخذت مكانتها العلمية الجيدة لدى العلماء المعاصرين لها، ونالت إعجابهم وتقديرهم، ولعل هذه النسخة هي نسخة المؤلف أو نسخة منقولة عنها، فالتقاريض تدل على موثوقية النسخة وصحتها. وممن قرضها ودون عليها تقريضه:

---

(٢٠) المخطوطة، لوح رقم ٢/ - ب، لوح رقم ٣/ أ.

(٢١) المخطوطة، لوح رقم١٧١/ أ.

أولاً: دُرِّي زاده مصطفى، وقد قال عنه:

بدا شرح نظم إنه من سليمان
كدر نظيم مثل أبيات حسان
لقد أعجب النظار حسن أدائه
تحير ذو فهم على شارح ثاني

ثانيًا: عثمان القاضي بعسكر روم أيلى، وقد قال عنه:

تأملنا كثيرًا في المعاني
وجدنا ليس لهذا الشرح ثاني

ثالثًا: السيد محمد القاضي بعسكر أناطولى، وقد قال عنه:

تجلى لنا فهمه ثم دركه
وزال عن القلب المهذب شكه
أجلنا لحاظ الفكر في فهم عذره
وجدنا شرحًا يشرح الصدر سكبه

رابعًا: شريف زاده السيد محمد الحسني النقيب سابقًا، وقد قال عنه: "هذه خلاصة ما في فن الأدب كافية في إيضاح دقائق معاني لامية العرب، مسبوكة في قالب الإفادة منه عن تعقيد بل بإجادة نظم ألفاظه يحكي قلائد اللآلئ، ونسج معانيه يروي عن معاهد المعالي، وما ذاك إلا أن الله تعالى صقل سجنجل(٢٢) حس مؤلفه، لينطبع فيه صور المعارف السامية، ونوّر لوح ذهنه لينقشه بحقائق العلوم

---

(٢٢) سجنجل: هي قطع الفضة وسبائكها. انظر: مادة الساجول في لسان العرب لابن منظور الأنصاري، دار إحياء التراث العربي.

العالية، شكر مساعيه وأناله مباغيه وجعل ألسنة الناس بثنائه منطلقة وأفئدة الطلبة بجواهر فوائده مستنطقة".

خامسًا: السيد علي المرادي المفتي(٢٣) بدمشق الشام، وقد قال فيه مقرضًا:

لما سجّيتك العرب أشيمتها
قد أوضعتك إلى العينين إنسانا
أمعنت في شرح من للعرب قد نسبت
وقارنت نظمها قسا وسحبانا
كسوتها الشرح فيه قد زهت حللا
وجيدها بالدراري عقده زانا
بدت تثنيه بعجب من بدائعها
مما حوته من معان زاد رجحانا
حتى كستها المعاني حسن رونقها
وخايلت من بديع الوصف تيجانا

---

(٢٣) السيد علي المرادي: هو علي بن السيد محمد بن السيد مراد بن السيد علي المعروف بالمرادي الحنفي البخاري الأصل الدمشقي المولد والمنشأ، مفتي الحنفية بدمشق، ولد بدمشق عام ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م، درس وتعلم على مجموعة من علماء عصره، وقد تفوق وبرع وتولى رتبة القضاء في القدس وإفتاء الحنفية بدمشق حتى توفي، له مؤلف وعدة رسائل علمية، واشتهر بحسن الخلق ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وكان أديبًا وشاعرًا، توفي سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧١م. انظر: محمد خليل بن علي المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر،ط٣، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٨٨م، ج٣، م٢، ص ٢١٩- ٢٢٨.

فقلت لا تعجبوا من حسنها أبدًا
سيمى ذي الشرح فهّمنا سليمانا(٢٤)

وقد ظهر اعتماد المؤلف على كم كبير من المصادر لشرح لامية العرب، بدءًا بالقرآن الكريم وتفاسير العلماء، ومثنيًا بالسنة النبوية وكتب الصحاح من الأحاديث الشريفة، وأقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومفيدًا من التراث الإسلامي، وراجعًا إلى دواوين شعراء العرب في الجاهلية والإسلام، وإلى أمثالهم، وأقوالهم. هذا إضافة إلى المصادر اللغوية والأدبية والتاريخية القديمة والمعاصرة لفترته الزمنية، فعلى سبيل المثال لا الحصر: في مجال التفسير أفاد المؤلف من تفاسير البيضاوي، والزمخشري، والسيوطي، وفي المصادر اللغوية رجع إلى أقوال أعلام النحاة كسيبويه، والخليل بن أحمد، والجوهري، وابن مالك صاحب الألفية، وابن هشام وغيرهم، وأخذ بأقوال المدرسة النحوية الكوفية والبصرية. وفي الشعر رجع إلى مجموعة كبيرة من الشعراء منهم: امرؤ القيس، والمتلمس، وطرفة بن العبد، والأعشى، وزهير بن أبي سلمى، وكعب بن زهير، وحسان بن ثابت، والخنساء، وقيس بن الملوح، وأبو نواس، وأبو تمام، وابن المقرب العيوني، وأبو فراس الحمداني، وغيرهم. كما رجع إلى عدد من المصادر التاريخية مثل: تاريخ ابن خلكان، وتاريخ نيسابور، وتاريخ ابن النجار، وأسد الغابة، والنفحة المسكية للسويدي، وغيرها.

---

(٢٤) المخطوطة، لوح رقم١٧١/ ب.

محتويات المخطوطة وأهميتها التاريخية:

احتوت المخطوطة على شرح واف لقصيدة الشنفرى المسماة "لامية العرب" التي بلغت نحو ثمانية وستين بيتًا من الشعر، وهي تعد إحدى روائع القصائد العربية في الجاهلية، فقد اشتملت على مكارم الأخلاق والآداب والحكم، حتى قال عنها سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق"(٢٥). وتكمن أهمية المخطوطة وقيمتها التاريخية في أن شارحها سليمان بك آل شاوي كان معاصرًا للفترة الزمنية التي حكم فيها المماليك العراق، وكانت له مشاهدات وملحوظات وإشارات مهمة لبعض أحداث ذلك العصر ضمنها شرحه، مما جعل المخطوطة - رغم إطارها اللغوي والأدبي - مصدرًا من المصادر التاريخية، وهو ما سوف نتبينه من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: في سيرة الوالي سليمان باشا

تناول الشارح فيه، نبذة عن سيرة الوالي سليمان باشا الشهير بـ"أبي ليلة"(٢٦) منذ توليه منصب والي البصرة سنة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م - وهو يعد أول الولاة المماليك الذين

---

(٢٥) المخطوطة، لوح رقم ٢/ - ب.

(٢٦) سليمان باشا: هو أول من أسس لحكم الولاة المماليك في العراق، حيث تولى الحكم فيه سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م حتى وفاته سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م، ولقب بأبي ليلة، وبدواس الليل، وأبي سمرة، وهي تسمية أطلقتها عليه العامة والعشائر العراقية؛ وذلك لشدة بطشه عليهم. انظر: رسول الكركوكلي، ترجمة موسى كاظم نورس، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٣م ص١٣١-١٣٢. سليمان فائق بك، ترجمة محمد نجيب ارمنازي، تاريخ المماليك "الكوله مند" في بغداد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦١م، ص٢٠-٢٥.

حكموا العراق - كما تطرق إلى الأسباب التي دعت الوالي المذكور للخروج من البصرة إلى الحلة، وبيّن كذلك وجهة نظره الخاصة بشأن الخلاف الذي دار بين سليمان باشا ووالي بغداد محمد باشا، والتي جاءت قريبة من وجهة نظر المؤرخين البغداديين الكركوكلي(٢٧) والسويدي(٢٨) المعاصرين لتلك الفترة أيضًا، في حين نجد أن المؤرخ العمري الموصلي(٢٩) يخالفهم الرأي، ولعل ذلك بسبب بعده عن موقع الحدث ونقله المعلومة سماعًا دون التحقق منها. وقد بدأ الشارح بقوله: "كان هذا المرحوم المبرور (يقصد به سليمان باشا أبا ليلة) في بداية أمره كتخدا المرحوم المبرور أحمد باشا(٣٠) نجل المرحوم حسن باشا(٣١) فبعد أن مات أحمد باشا المذكور

---

(٢٧) انظر: الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، المصدر السابق، ص١٠٤-١٠٦.

(٢٨) انظر: سعيد السويدي، ورود حديقة الوزراء، المصدر السابق، ورقة ٦/ ب، ٧/ أ.

(٢٩) ياسين خير الله العمري، الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون (مخطوط)، نسخة المتحف البريطاني برقم (Add. IOR 23312)، ورقة ٦٨٢.

(٣٠) أحمد باشا: هو ابن حسن باشا الأيوبي، اكتسب شهرة منذ أيام والده عندما عمل ميرميران (أمير الأمراء) في قونية سنة (١١٢٧هـ/ ١٧١٥م)، ثم حلب والبصرة سنة (١١٣٢هـ/ ١٧١٩م)، وواليًا على شهرزور سنة (١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م)، وتقلد مناصب أخرى، ثم تولى إيالة بغداد منذ سنة (١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م) إلى سنة وفاته (١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م)، وقد اتصف بالعقل والحكمة والشجاعة. انظر: محمد ثريا، سجل عثماني، معارف نظارت جليلة، إسطنبول، ١٣٠٨هـ، ج١، ص, ٢٥٠

(٣١) حسن باشا الأيوبي: ولد في قصبة قترين من نواحي الروملي في سنة (١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م)، وقضى طفولته في ضاحية أيوب من =

- ضوعفت له الأجور - بلغ السلطان أخبار جميل هذا الكريم المرحوم فصيره وزيرًا من جملة الوزراء وولاه البصرة فتوجه إليها من بغداد(٣٢)، عام الحادي وستين بعد المائة والألف فدخلها وقد سار مع أهلها السيرة الحسنة، وأجراهم على عوائد بره المستحسنة. فاتفق أن صار في ذلك العام في البصرة الجدب والقحط، فحصل لأهلها فاقة وضيق عيش فخرج الوزير المذكور - رحمه الله - من البصرة ترفيهًا لأهلها وشفقة عليهم، كي يبقى ما ينفقه على نفسه وجنوده لهم، وهو يقضى بقية السنة من خارج، فلم يزل تنقله الهمَّة وهو يشترى من أهل القرى والمزارع ما يحتاجه بنقود الدراهم، ويسير مع الضعفاء بسيرة الأكارم. حتى وصل حلة ابن دبيس فوجدها رخيّة كثيرة الغلات، وافرة الخيرات، فأقام في نواحيها ينتظر زوال اللأواء عن البصرة حتى يرجع إليها إذ هي كما قدمنا دار إقامته ومنفذ حكومته، فوشى به بعض أهل النفاق وقاصدي البغضاء والشقاق عند والي بغداد بما تنهدّ من بهتانه الجبال، وتتفطر من تزويره الأكباد فثارت بين الوزيرين فتنة عظيمة... وكان مع الوزير المرحوم إذ ذاك

= ضواحي إسطنبول، وفي عام (١١١٠هـ/ ١٦٩٨م) عين واليًا على حلب ثم الرها وفي عام (١١١٣هـ/ ١٧٠١م) عين واليًا على الرقة، ومنها عين سر عسكر ليتجه إلى بغداد لمواجهة التمردات القبلية العربية والكردية في العراق، وبعد نجاحه في المهمة أصبح واليًا على بغداد عام (١١١٦هـ/ ١٧٠٤م)، توفي سنة (١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م). انظر: عبدالرحمن بن عبدالله السويدي، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق صفاء خلوصي، مطبعة الزعيم، بغداد، ١٩٦٢م، ج١، ص٤-١٣. ومحمد ثريا، سجل عثماني، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٩.

(٣٢) المخطوطة، لوح رقم ٢٨- ب.

من العساكر نحو من سبعمائة فارس قد تعودت في الحروب نهب الأرواح، وتعوّضت عن الصياح والكفاح الطعن بالرماح والفلق في الفيالق البيض الصفاح(٣٣)... وحشد وزير بغداد الجنود من الأطراف ووعدهم من جميع الوعود المقتضية للهلاك... فسارت إليه من بغداد كتائب كثيرة وجموع غزيرة... فعبروا الفرات وأتوا إليه من جميع الجهات فكان مانع الوزير من السلاهب كربع عشر ثمن كتيبة من هاتيك الكتائب، ولكن النصر بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء فحف الله جمع الوزير بالنصر، وقرن بهم الغلبة والقهر، وفرّق في مثل ساعة أو أقل تلك الجموع تفريق الريح السحائب، وترك أكثر أولئك الفرسان نسبة للسمر القواضب...(٣٤). وغنم الوزير المذكور المعسكر بما فيه إلا أنه منّ على رئيس السرية فأرسله إلى مرسله الوالي في بغداد معززًا مكرمًا كما هو شأن الملوك الكرام إذا قدروا عفوا، وبقي في الحلة قاطنًا حتى ذهبت الرسل إلى الدولة العلية من كل ناحية، وبلغت السلطان جميل أخباره فاختاره واليًا على بغداد، فسار متوجهًا إلى بغداد وتباشرت بقدومه الضعفاء من الأرامل والأيتام لما يعلمونه من عظيم رأفته وشفقته على الخاص والعام، ودخلها وقد لبست لقدومه أثواب الأفراح بعد أن كانت في زي محدّة، وزال عنها نكد الأتراح وقد كانت قبل هذه ذلك أنكاد معتدة وصارت بالسرور والهناء محفوفة... وسار بأهلها سيرة الشيخين أحمد والحسن

---

(٣٣) المخطوطة، لوح رقم ٢٩- أ.

(٣٤) المخطوطة، لوح رقم ٣٠- أ.

ونفى(٣٥) عنهم كل عين بخُلقه المستحسن وشمل لطفه جميع من فيها، وعم إحسانه في ظاهرها وخافيها وجدد أساس العدل والإنصاف، وهدم قواعد الجور والاعتساف، ونام أهلها بأيامه رغدًا، حيث أمنوا من جميع الجهات نكدًا، ومن جملة عدله أنه - مدة حكومته في بغداد - لم يسفك دمًا بغير وجه شرعي، ولم يأخذ من أحد درهمًا واحدًا إلا قرضًا، وعاشت في أيامه أناس كثيرة على إنعامه وإكرامه، وعمرت بيوت غزيرة على عطاياه حيث كانت كثيرة، ولم يبق في بغداد... طالب علم إلا وقد شمله ألطافه وعمه إسعافه، وكان - رحمه الله - مع ماله من الهيبة والجلالة صغير النفس جدًا، كثير التواضع... وكانت له مع نفسه محاسبات ومعاقبات، وكان يتألم إذا سمع بأحد من ذوي البيوت في فاقة حتى يعطيه ما يدفع فاقته، ولم يزل هذا دأبه، رحمه الله"(٣٦)، وأشار الشارح إلى تاريخ وفاة الوالي سليمان باشا بأنها كانت في سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٣م(٣٧).

المحور الثاني: ثورة أعيان وأهالي بغداد

وقد تناول فيه الشارح الثورة التي قادها أعيان وأهالي بغداد ضد واليها الجديد علي باشا العجمي(٣٨) الذي تولى

---

(٣٥) المخطوطة، لوح رقم٣٠- ب.

(٣٦) المخطوطة، لوح رقم٣١- أ.

(٣٧) المخطوطة، لوح رقم ٧٢- ب.

(٣٨) علي باشا العجمي: ترجم له سعيد السويدي في ورود حديقة الوزراء بقوله: "إنه مملوك أعجمي شراه إبراهيم رجل عقار من أهل بغداد، فلما كبر أعتقه فخدم باشي جاوش في زمرة اللوند في ديوان ولاية بغداد". ورقة ١٧/ ب.

السلطة في بغداد سنة ١١٧٧هـ/ ١٧٦٤م، ووصف وبيّن حقيقة موقف أهالي بغداد منه بصفته أحد أعيانها، وثورة جنود الانكشارية عليه، وتسلسل الأحداث بعد ذلك حتى عزله من الولاية. وقد ظهر موقف الشارح من ذات الوالي حيث يقول عنه: "طمع في بغداد كل وضيعٍ، ورغب فيها كلّ ذي عيب فظيع، فما اتفق أن رجلاً من خدم مولانا المرحوم من أقبح الناس اعتقادًا وأكثرهم ركونًا إلى الرذائل واستنادًا، يقال له علي أغا، وكان عجميًا فارسيًا، جاعله عاملاً على الحسكة(٣٩) يجبي خراجها ويعمر فجاجها، فلما توفي المرحوم المبرور - ضوعفت له الأجور -(٤٠) أرسل نجّابًا إلى حلب، واستنجد ببعض أكابرها، فأرسل كتبه إلى الدولة العلية - لا زالت على ممر الأيام محروسة محمية - تتضمن كتبه وصفه بالعدل والشجاعة الكاملة، والرأي والتدبير الصائب، حتى إنّ المرحوم كان يستنير برأيه ويستشيره في كل المهمات لحسن سيره في الكمال وجريه، ومع هذا أقرّ للرجال بأموال عظيمة، ووعدهم بمواعيد جسيمة، ووعد بل أعطى من شهد له ثمة على صدق المقال، وإنه لا يعرف الزور والمحال، ولم يدر أن شره كل يوم يزداد، وأنّ عتوّه وجوره قد جاوزا الحد في الفساد.

فهو كالصل من بنات الأفاعي   كلما طال عمره زاد شرًا

---

(٣٩) الحسكة: هي إحدى ضياع العراق القديمة ومن أحسنها، تقع على الجانب الأيسر من نهر الفرات، وتقوم على أنقاضها مدينة الديوانية الحالية، اشتهرت بزراعة الشلب (الأرز)، وكانت مقرًا لزعماء قبيلة الخزاعل العراقية. انظر: وداي العطية، تاريخ الديوانية قديمًا وحديثًا، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٤م، ص١٤-١٥.

(٤٠) المخطوطة، لوح رقم ٧٢- ب نفسه.

فولوه بغداد، وقدمت عليه الرسل من الدولة يسرعون، وجاءه أهل البشائر من العشائر من كل حدب ينسلون، فاستعظم ذلك أهل بغداد... لعلمهم بأفعاله القبيحة الفضيحة، ومكائد جوره الشنيعة، فعزموا على عدم إدخاله بغداد، وأن يبقوه في الحسكة يقاسي الأنكاد، ويرسلون إلى الدولة العلية يخبرونهم بأمره، ويعزو لهم على من حسّن عندهم سيرته بغدره ومكره، وأنه عجمي لا يصلح للوزارة، ودنيء لا تناسبه هذه الإمارة، لكنهم لعظم إطاعتهم للدولة، وأنهم يمثلون لمراسيمهم وإن ولوا عليهم خارجًا عن الملة، قالوا(٤١) لعله تحسن سيرته... فقال أهل بغداد لعل هذه الرفعة تهذب أخلاقه، وتحسن خلافه ووفاقه فخرج إليه وجوه عساكر المرحوم المبرور وقابلوه بالترحاب وفتحوا بوجهه من بغداد الأبواب فعاملوه معاملتهم مع المرحوم، وجروا معه على القواعد والمرسوم، فبقي أيامًا قلائل على حالة حسنة وسيرة مستحسنة، ثم بدت لهم جنادعه(٤٢)، وظهرت لديهم

---

(٤١) المخطوطة، لوح رقم٧٢- أ.

(٤٢) جنادعه: يقصد بها جنادعُ الضَّبِّ: دوابٌّ أَصغرُ من القِرْدان تكون عند جُحْره، فإذا بدت هي عُلِم أنّ الضبّ خارجٌ فيقال حينئذ: بدَتْ جَنادِعُه، وقيل: يَخرجن إذا دنا الحافر من قَعْر الجُحْر، قال الجوهري: تكونَ في جحَرَةِ اليَرابيع والضِّباب. ويقال للشرّير المُنْتَظر هلاكُه: ظهرت جَنادعُه واللَّه جادعُه؛ وقال ثعلب: يضرب هذا مثلاً للرجل الذي يأتي عنه الشر قبل أَن يُرى. الأَصمعي: من أَمثالهم: جاءت جَنادِعُه، يعني حَوادِثَ الدَّهْر وأوائلَ شرّه. ويقال: رأيت جَنادِعَ الشرّ أَي أَوائلَه، الواحدَة جُنْدُعة وهو ما دَبّ من الشرّ؛ قال محمد بن عبداللَّه الأزدي:

ولا أَدْفَع ابْنَ العَمِّ يَمْشِي على شَفًا
وإِنْ بَلَغَتْنِي من أَذاه الجَنادِعُ

انظر: باب الجيم في لسان العرب، لابن منظور، المصدر السابق.

مكائده ومخادعه، فصبروا وقالوا لعله يرتدع، ويزجره عقله فيسير بسيرة من قبله ولم يبتدع، لكن الينكجرية لم يصبروا على جوره، حيث اطلعوا على فكره وغدره، فقاموا عليه بأجمعهم...، وأخرجوه من بغداد مذمومًا مدحورًا مغلوبًا مقهورًا، وعبر إلى الجانب الغربي من بغداد فآواه وجوه أهل ذلك الجانب، وجبروا كسره جبر الأقارب، وأنزلوه(٤٣) في بستان الباشا معززًا مكرمًا مبجلاً محترمًا، راجين أن يحفظ هذه الصنيعة ولا يضيعها، وأن يحمد هذه الخلّة ولا يهملها ويدعها، وكذلك فعلت معه جنود المرحوم فخرج معه من كان في البلد، ولم يتخلف عن تبعيته بعد إخراجه منهم أحد، وسعى الجميع في الصلح بينه وبين الينكجرية، فأعيد إلى البلد وزال عنه النكد، ثم إنّ طبيعته طالبته بالانتقام فبطش بعد دخوله في الينكجرية بطشة جبار، وسامهم سوم العبيد وهم أحرار، وخنق أكثر رؤوسهم، وهرب الباقون، والناس في أفعاله ساهون، واستمال قلوب جنود الوزير المرحوم بمكره فأقطعهم القرى والضياع، ولم يكن معه منهم إلا القليل من الأتباع، ولما خلى جوّه، وقوى عزمه وتصلب خرمه، ظلم على أهل بغداد، ظلمًا لم يسمع بمثله في البلاد، فنهب أموال التجار من الحجرات، وصب عليهم أنواع البليّات حتى منعهم الأرغاس(٤٤)، وأوقعهم في الإفلاس... ثم كرَّ على طلاب العلم بالانتقام، فسلط عليهم أوباش الناس فولاهم المدارس

---

(٤٣) المخطوطة، لوح رقم٧٢- ب

(٤٤) الأرغاس: مفردها الرَّغْسُ وهي النِّعْمَةُ والخيرُ، والبَرَكَةُ، والنَّماءُ.. انظر: مادة (رغ س) في القاموس المحيط، للفيروزبادي.

والجوامع، وجعل بيدهم سائر الأوقاف، فمنعوا الطلبة الذين لهم حق في مدرسة أو جامع أو وقف، وكثر ظلمه وتزايد، وازداد جوره وتصاعد، وراسل أعداء الدين المارقين من الإسلام، الطائفة الخبيثة الخسيسة الملعونة الأعجام، فراسل زند كريم خان(٤٥)، وإسماعيل خان(٤٦)، وسارت بينه وبينهم الرسل حتى اشتهرت خيانته، وظهرت جنايته، فقام عليه جمع أهل بغداد من علماء وسادات وينكجرية، ووجوه وعساكر المرحوم سليمان باشا، وضبطوا عليه القلعة، وضاربوه بالأطواب، ولم يبق منهم إلا خدّامه ممن كان من أهل السنة والجماعة من أولئك الخدام، هرب من الصّراي وجاء إلى جمع الإسلام، ولم يبق معه إلا القليل من أولاد الأعجام ونسل الطغاة الطغام، فلما أحس بالبوار، وتيقن النحوسة والإدبار، خرج قبل الفجر من تلك الليلة من مكانه في زيٍّ قبيح، وعقل طايش غير رجيح، واختفى في بعض بيوت الرافضة، فدخل المسلمون دار الحكومة، يقدمهم العمران كتخدا المرحوم عبدالله إنما وكتخدا المرحوم أيضًا عمر أغا، فضبط مكانه، ومسك أعوان ذلك اللئيم وأخدانه، وجعل عمر أغا قائمقام باتفاق الخاص والعام، وزال الكدر من البين، ... وضبط

---

(٤٥) زند كريم خان: هو زعيم قبيلة زند الكردية التي كانت تقيم بالقرب من أصفهان، استطاع بعد موت نادر شاه القيام بعدة حركات ضد منافسيه، فحكم الأجزاء الجنوبية من بلاد فارس، وبعد صراع طويل على السلطة أصبح الحاكم المطلق على بلاد فارس سنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م. انظر: علاء نورس، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠م، وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م، ص٢١٠-٢١٢.

(٤٦) المخطوطة، لوح رقم٧٤- أ.

الليث الجسور عبدالله أغا مكانه كتخدا هذا الرجس، وزال بمقامه كل النحس، ثم ثاني ليلة هذه الوقعة ظفروا به مستترًا في زيّ امرأة، فقبضوا عليه، وذهبوا به ليحبسوه في القلعة حتى يأتي أمر الدولة العلية فيه، وقد انخلع قلبه من شدة الخوف، فلما دخلوا به القلعة وقع ميتًا، وكفى الله المسلمين شره"(٤٧).

المحور الثالث: تباين موقف آل شاوي من الوالي عمر باشا

تناول الشارح فيه الدورَ الذي قام به وجهاء بغداد وأعيانها في ترشيح عمر أغا للسلطان العثماني كي يعينه واليًا على ولاية بغداد، ومدّحَ آل شاوي له وثناءه عليه، ثم تغيّر موقفه منه بدرجة كبيرة لأسباب مختلفة منها اغتيال عبدالله آل شاوي والد الشارح على يد الوالي المذكور(٤٨)، وهو يقول في هذا الشأن عن تلك الفترة: "فعرض أخبار هذه الوقعة رؤساء بغداد على الدولة العلية يرجون منهم أن يجعلوا الليث المقدام والشجاع الهمام عمر أغا واليًا على بغداد والبصرة، حتى ترجع الدنيا إلى أيام المرحوم المبرور سليمان باشا ولم يجئ الخبر إلى الآن فالله أسأل أن يحقق هذا الرجاء، ويريحنا من صولة الأوباش... وبعد أيام جاءت الوزارة له، فلما تمكن بها أبرز من الخبث والمكر ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر ببال بشر، وحقق المثل المشهور "عمرت على يد عمر بن الخطاب، وخربت على يد عمير

---

(٤٧) المخطوطة، لوح رقم٧٤- ب.

(٤٨) انظر تفاصيل ذلك الاغتيال في ص٢٥٦-٢٦٤ من أطروحتنا للدكتوراه المشار إليها سابقًا في الهامش رقم (٤) من هذا البحث.

الكذاب"، وسلط اليهود والنصارى على أهل السنة والجماعة، وذلك أنه تذكر بالحما بما كان آباؤه وأجداده منجبلين عليه من دين النصرانية، وربما كان على أثرهم وكان يخفيها، وقد صنّا مؤلفنا هذا عن ذكر مساويه، ولا أظنها خفت على أحد، وخشينا أن يقال من حمد وذم كذب مرتين، ومدحنا له من باب حمل المؤمن على الصلاح، ولا يطلع على مكر القلوب إلا خالقها، حتى تبين لنا ولسائر الناس حاله واشتهر ضلاله وجوره وتسلطه على الضعفاء والمساكين مقدار اثني عشر [اثنتي عشرة] سنة حتى أرسل الله(٤٩) تبارك وتعالى على إيالة بغداد الطاعون، فخذل سلطانه وقتل أعوانه وأضر كثيرًا من المسلمين، ... والله أعلم إن سببه كان ظلمه وتعديه على الفقراء، فأباد الله تعالى بذلك سعده، وخاب جده، وبقي مدة في أذل عيش واوها [أوهى] طيش، حتى شاع قبح حاله بين الأنام، وتحقق ظلمه وجوره عند الإمام، بعد تحريكه لفتنة الأعجام اللئام، فعين عليه السلطان عبدالحميد خان - نصره الرحمن - مصطفى باشا وعبدالله باشا وسليمان باشا، ظنًا أنه من ذوي الحمية والبسالة، ولم يعلم أنه بأعلى رتبة من الجبن والرذالة، فذهب عقله واحتار وبدل القرار بالفرار...، فلحقوه بعض عسكر مصطفى باشا غربي الإمام(٥٠) موسى وقتله أشر قتلة، وقطعوا رأسه، وبُعث به إلى دار الخلافة، فاسترَّ بذلك جميع المسلمين ولاح فيما جرى عليه سطوع برهان قوله تعالى ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ**

---

(٤٩) المخطوطة، لوح رقم٧٥- ب.

(٥٠) المخطوطة، لوح رقم ٧٦- أ.

مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. وقد أرخنا موت أخيه الخبيث في الطاعون وموته في بيت وهو:

ذق حفة تاريخ بكر عملا
وزيرهم في سقر قد دخلا"(٥١).

وهنا يمكننا القول إن المحاور الثلاثة التي استخرجنا مادتها من الشرح المخطوط المسمى"سكب الأدب في شرح لامية العرب" أظهرت أن شارحها العالم سليمان آل شاوي، قد تناول فيها عددًا من الأمور المهمة والتفصيلية لبعض الأحداث التاريخية، التي أشار إليها غيره من المؤرخين المعاصرين لفترة حكم المماليك في العراق دون الدخول في تفصيلاتها أو المرور عليها سريعًا. في حين نجد أن عالمنا آل شاوي قد تناولها بالتفصيل الدقيق، وهو بذلك - لا شك - ينقل لنا وجهة النظر المحلية لتلك الأحداث بعيدًا عن وجه النظر الرسمية.

ففي المحور الأول تطرق آل شاوي إلى سيرة الوالي سليمان باشا "أبو ليلة"، منذ أن اعتمد عليه والي بغداد أحمد باشا، وجعل منه كتخداه في الولاية، وتعيينه واليًا على البصرة، وسيره في أهلها بالسيرة الحسنة. ثم استعرض الأسباب التي دعت والي البصرة سليمان باشا للخروج منها إلى الحلة، ووقر الوشاة في صدر والي بغداد الجديد محمد باشا ضده واندلاع الفتنة بين الرجلين وإعلان الحرب بينهما، وانتصار سليمان باشا على الوالي الجديد. كما بين موقف

---

(٥١) المخطوطة، لوح رقم٧٦ - ب.

أهل بغداد بتعيين سليمان باشا واليًا على الولاية، وثناء آل شاوي على عهد سليمان باشا بوصفه عهدًا زاخرًا وعهد اطمئنان وأمان، وأن الوالي كانت له مآثر جمة على الخاص والعام.

أما المحور الثاني فقد أظهر فيه آل شاوي موقفه بكل صراحة من تعيين الوالي علي باشا العجمي، الذي خلف الوالي سليمان باشا على ولاية بغداد، ووصفه بأنه ذو أصل وضيع وأنه لا يصلح للوزارة، واستعرض كيفية وصوله إلى هذا المنصب، كما بين موقف أهل بغداد من توليته للمنصب، والثورة التي قام بها أهل بغداد والانكشارية ضده لأول مرة، وثم تسلط الوالي المذكور وظلمه لهم، ومما زاد في حنقهم عليه اتهامه بالتواصل والتخابر مع شاه العجم زند كريم خان، الأمر الذي أدى إلى الثورة عليه مرة أخرى ومحاصرته في قلعة بغداد ومحاولة فراره منها، ولكن أطيح به وانتهى بموته جزعًا، ويعكس هذا صورة من صور التدخلات الإيرانية في العراق.

والمحور الثالث استعرض فيه آل شاوي بداية دور وجهاء بغداد وأعيانها في ترشيح عمر باشا لتولي منصب الولاية في بغداد ورفعهم بذلك إلى السلطان العثماني، وتأييد آل شاوي للوالي المذكور في بداية حكمه، ثم تباين موقفه منه بعد اغتياله لوالده الأمير عبدالله بك آل شاوي باب العرب في الولاية. وتطرق بالحديث إلى انتشار الطاعون في أواخر سني حكم عمر باشا، وأثره في ضعف سلطته وحكمه ثم الثورة ضده وقتله.

وفي الختام نأمل أن يكون هذا العرض المستخرج من المخطوطة في محاوره الثلاثة قد عاد بالفائدة على الباحثين إما بتوضيح فقرة غامضة أو سد ثغرة في تاريخ تلك الفترة الزمنية من تاريخ العراق خلال العهد المملوكي، وقد يسهم ذلك بعد عقد الموازنة العلمية بين الروايات الرسمية والروايات المحلية في الوصول إلى بعض الحقائق التاريخية الجديدة في هذا الإطار.

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa

نهضة
الجزيرة العربية

تأليف
د. جورج خير الله

ترجمة
وديع فلسطين

٤٠٦ صفحات

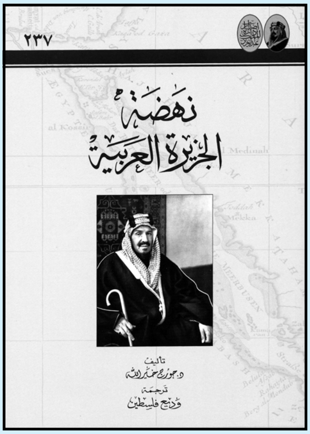
٢٣٧
نهضة الجزيرة العربية
تأليف
د. جورج خير الله
ترجمة
وديع فلسطين

كتبه مؤلفه باللغة الإنجليزية عن معاصرة لينقل به ما حدث من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية على يد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - خلال تأسيس المملكة العربية السعودية وتوطيد بنيانها، وقد تضمَّن الكتاب ثمانية وعشرين فصلاً تناولت جوانب متعددة في النواحي السياسية والدينية والتطور الاقتصادي والتكوين الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، مركزًا على جهود الملك عبدالعزيز في النهوض بالجزيرة العربية.

وقد نبعت أهمية هذا الكتاب - الذي ترجمته الدارة وعلقت عليه - من كون مؤلفه معاصرًا لكثير من أحداثه، شاهدًا عليها، يكتب فيها بقلم الناقد البصير، والعربي المتطلع إلى نهضة أمته، والغيور على تاريخها المعطاء.